

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

تحطيم الدليل الثاني لأصالة التعبدية

و عقيب ما تخلصنا من الدليل الأول تجاه «أصالة التعبدية» و فندناه تفنيداً، فستتصدى الآن لمستمسكهم الثاني حيث استظهروا أصالة التعبدية من الآية التالية: «وَ مَا أُمْرُوا إِلَّا يَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَ يُقْيِمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ»[1] زاعمين أنَّ امثالت كافة أوامر الله تعالى يتطلب الإخلاص و النية الصافية العبادية، إذ اللام - ليعبدوا - تُعدَّ غائية بحيث إنَّ الهدف الغائي من أوامر الشارع هي العبودية المُخلصة، وبالتالي ستتسجيَّل أصالة التعبدية لدى الامثلات.

بينما قد رفضنا هذه الاستدلالية أيضاً إذ:

1. هاتِ الآيات تُخصِّ الكُفَّارَ وَ الْمُشْرِكِينَ فحسب فإنَّ ظاهرها أنَّها قد ركَّزت على كُتبِهم السُّمْوَيَّةِ وَ رُسُلِهِمْ وَ أَوْامِرِهِمُ الْمُسْجَلَةِ في شريعتهم و تفرقاتهم و ... حيث انصَبَّ حوارها على العناوين التالية: «لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ الْمُشْرِكِينَ» منفَكِينَ حتَّى «تَأْتِيهِمُ الْبَيِّنَاتُ» * «رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِ الْإِنْسَانِ» يَتَلَوُ «صُحْفًا مُّطَهَّرًا» * فيها كتب «قيمة» * و ما تَفَرَّقُ الَّذِينَ «أَوْتَوُ الْكِتَابَ» ... إلى آخرها، و حيث إنَّهم قد تَبَنَّوا مُعْتَقَدَاتِ زائفة نظير قوله تعالى: «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةِ»[2] و قوله تعالى: «مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُونَا إِلَى اللَّهِ ذُنْفِي»[3] وبالتالي قد أجابهم تعالى بأنَّ العبودية منوطَة بالخلوص و الحنفية فحسب.

إذن فالآية مُنعدمة الصِّلة بأوامر المسلمين - التي موقع صراعنا - فرغَ أنَّ المسلمين أيضاً مأموروون بالإخلاص و التَّقْرِبِ و لكنَ الآية لا ترتبط بهم.[4]

2. فلو تنازَّنا فسلَّمنَا عدم خصوصيَّة الكُفَّارَ وَ أَهْلِ الْكِتَابِ، لَاحْتَوَتِ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا - وفقاً للمِقِيَّاسِ المذكور: «وَ ذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ» و حيث إنَّ كافة العباد مكَلَّفون «بِالْدِينِ الْقِيمِ» فسيتوجَّب على عامة الطَّوَافِ و الأديان أن يُوحِّدوا الله تعالى - و لكن سنجيب بأنَّ الآية ليست ضمن مقام تبيين «كيفية العمل» أساساً بل تمرَّكَت فحصَّرت «المعبدُ في الله تعالى» بـأنَّ الواجب أن يُعبدُ الله فحسب دون غيره - درءاً للشَّرِّك - وبالتالي لم تُحدِّد كيفيَّة الامتثال و لزوم اتخاذ القصد فيه.

[1] سورة البينة الآية 4.

[2] سورة المائدة الآية 73.

[3] سورة الزمر الآية 3.

[4] و لكنَّه استظهار مستبعد إذ أولاً: الآية الثانية تُدَلِّل على أنَّ المسلمين مندرجون أيضاً ضمن خطاب الآية، حيث يُصرَّح تعالى: «رَسُولُنَا يَتَلَوُ صُحْفًا مُّطَهَّرًا» فإنَّ الرَّسُول - سواء الخاتم أم غيره - يتلو الآيات على العالمين بأسرهِم لا الكُفَّار فحسب، و ثانياً: إنَّ المورد لا يُخْصِّصُ القضية و التَّعَالِيل الوارد ضمن الآيات.

